مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 01 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

# صور المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة دراسة أنثروبولوجية لظاهرة التسول أنموذجا

# Pictures of the daily living of migrants from Sahara Coast of Ouargla: Anthropological study of countries In the city the phenomenon of begging as a model

زهير بخوش*، مخبر علم النفس العصبي والإضطرابات، جامعة ورقلة، zoubakh@gmail.com

صورية رمضاني، جامعة الجزائر 02، ramdhani.maya@gmail.com

عيد القادر خليفة، جامعة ورقلة، abdelkader12368@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/04/25 تاريخ القبول: 2021/05/29 تاريخ النشر: 2021/06/05

**ملخص:**

اعتمادا على بحث ميداني في مدينة ورقلة، تحاول هذه الدراسة تقديم فهم أنثروبولوجي للمعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء من خلال محاكاة أحد صوره المتمثلة في ظاهرة التسول، وهذا عبر تمشي منهجي كيفي ومقاربة نظرية تندرج ضمن أنثروبولوجيا الحياة اليومية، حيث لا تولي الدراسة الاهتمام بالصيرورات التاريخية بقدر ما تعطي مساحة للفاعلين بإخراج ما يجول في ذواتهم داخل مسرح الحياة اليومية، بالإضافة إلى محاولة إبراز كيفية تعامل المهاجرين بكل حمولتهم الثقافية داخل الفضاءات العمومية.

**الكلمات المفتاحية:** المهاجر الأفريقي، دول ساحل الصحراء، المعيش اليومي، التسول، الهجرة.

## Abstract:

Based on field research in the city of Ouargla; this study tries to provide an anthropological understanding of the daily life of

* المؤلف المرسل

immigrants from Sahara Coast countries by simulating one of its images represented by the phenomenon of begging, and this through a qualitative methodological approach and a theoretical approach that falls within the anthropology of daily life, the study does not pay much attention to historical processes; what gives space for the actors bring out what is wandering in themselves inside the theater of daily life in addition to trying to highlight how immigrants deal with all their cultural load in public spaces.

**Keywords:** African immigrants, Sahara Coast countries, daily living, begging, migration.

مقدمة:

عرفت مدينة ورقلة تدفق كبير لمهاجري دول ساحل الصحراء في السنوات الأخيرة، فأصبحت وجهة ومقصدا لما تحتويه من عوامل جذب للهجرة الداخلية والخارجية، تنوعت بين عوامل إقتصادية ومجالية وأخرى سوسيو-ثقافية ميزت هذه المدينة الجامعة للكثير من الاثنيات والثقافات، كل تلك المميزات ساهمت في تغيير مسار وكرونولوجيا هجرة الأفارقة، حيث أصبحت مدينة ورقلة منطقة إستقرار للكثير من مهاجري دول الساحل بعد أن كانت نقطة عبور في مسارهم نحو الشمال (الهجرة إلى أوروبا).

إن هذا الاستقرار (النسبي) لمهاجري دول الساحل في مدينة ورقلة جرنا إلى الدراسة والبحث في صور معيشهم اليومي، من خلال تقصي أنثروبولوجي لظاهرة التسول التي انتشرت في المدة الأخيرة لدى هؤلاء المهاجرين، لهذا فإن هذه الدراسة التي بين أيديكم تحاول الإجابة عن مجموعة تساؤلات تحاكي زوايا هذه الظاهرة تجتمع تحت ظل إشكال رئيسي مفاده:

**ما هي أبرز صور المعيش اليومي للمتسولين المهاجرين من دول ساحل الصحراء؟**

## أولا: الحياة اليومية كمقاربة لفهم المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء:

في هذا السياق، تهدف هذه الدراسة لفهم المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء إنطلاقا من مقاربة الحياة اليومية وتحديدا من خلال خطاب المهاجرين الذين أجرينا معهم مقابلات في الفضاءات العمومية (محطة المسافرين، وسط المدينة، الأسواق، المساجد..) والأحياء الشعبية (حي الزاوية 02 بمنطقة الرويسات، حي سكرة والزياينة، حي بوعامر، القصر العتيق).

إن تموضع المهاجرين ضمن سياق مجالي (الأحياء الشعبية المذكورة) سمح لهم بخلق إنتظاميات مخيالية تتضمن تجمعات تتعارف وتتواصل بفضل تقاطعات ثقافية وهوياتية مشتركة.

ولهذا تعمل مقاربة الحياة اليومية على "فهم السلوك الاجتماعي وتأطيره بطريقة بنيوية من خلال مفهوم مافيزولي عن الشكلانية التصويرية" (غراسي، 2018، صفحة 95)، التي تهتم بالمعرفة المشتركة بكل رموزها ودلالاتها لفهم المعيش اليومي، وخاصة المهاجرين من دول ساحل الصحراء محل دراستنا.

سنحاول إسقاط مقاربتنا على بعض الأحداث الصغرى التي تعتبر ذات أهمية كبرى من حياة مهاجري دول الساحل، هذه الأحداث كلها ليست لها غاية محددة، لكنها محملة بالمعنى من طرف الفاعلين (المهاجرين)، وأبرز هذه الأحداث هي ظاهرة التسول وما يندرج ضمنها وما يتعلق في سياقها من أحداث تعتبر شكلا من أشكال الواقع المعيش للمهاجرين، وبالتالي هي كاشفة من الكواشف التي تعري الأطر السوسيو-ثقافية والاقتصادية للمهاجرين كفاعلين في مجتمع غريب عنهم وله خصوصياته الثقافية والاجتماعية وحتى المجالية.

وعلى هذا الأساس سننطلق من الواقع دون الدخول في التأويلات الضيقة، للبحث عن عمق المعنى الذي يختفي وراء السلوكات والممارسات، إضافة إلى البحث في المعيش اليومي وتقلقلاته، حيث تسمح لنا الأحداث الصغيرة (مثل التسول) التي يمكن دمج شتى الظواهر الاجتماعية فيها "بإدراك المظاهر المتعددة للحياة المشتركة بمؤسساتها وحركاتها الثقافية، ببعدها المبتذل واليومي، وبمكنونها التخيلي" (غراسي، 2018، صفحة 108)، ولإظهار التمفصل المعقد للأحداث اليومية وكشف الحقائق المخفية داخل تفاصيل ظاهرة تسول مهاجري دول الساحل الأفريقي، كان لزاما علينا اقتحام الميدان وتشكيل رابط عاطفي معه يدفعنا إلى الحرص على زيادة الاهتمام به.

## ثانيا: العمل الميداني والأدوات المستخدمة:

لا يمكن أن يكتسب هذا البحث فاعليته إلا من خلال تمشي منهجي واضح ودقيق، يمكن من خلاله ولوج العالم الاجتماعي والثقافي لمهاجري دول ساحل الصحراء بمدينة ورقلة، وذلك لتجميع كم كبير من المعطيات الإثنوغرافية نعيد من خلالها تأويل وفهم معيشهم اليومي.

في بداية الأمر كان اتصالنا بميدان البحث مباشرا، لكن المهاجرين كان تواصلهم معنا شبه منعدم خاصة في أماكن سكناهم، على عكس أماكن التسول، لخوفهم من الآخر وكذا اعتقادهم أننا من أجهزة الأمن أو بحسب التعبير المحلي ( نخدمو في الدولة)، بالرغم من الحذر والشك اللذان لامسناهما في عملية التواصل مع المشاركين، والأسئلة التي توحي لهذا الشك والحذر من قبيل ( .. هل أنت حقا باحث؟ هل تعمل لصالح الأمن؟ )، إلا أن زياراتنا المتكررة وحسن التعامل والتعاطي معهم مع بعض

الإخباريين ساعد على تقليص تلك الفجوة التي كانت من بين العوائق أمام إجراء البحث والتعمق في دراسة الظاهرة، وأصبحنا تحت حتمية الاستثمار في الزمن قدر الإمكان لكسب ثقة المشاركين والتماهي في الميدان لجمع أكبر قدر من المعلومات والمعطيات.

لهذا حاولنا التواصل مع المشاركين عبر أحاديث عابرة وتنظيم جلسات حوارية في أماكن سكناهم ساهم في تنظيمها وتحقيقها إخباريون محليون من سكان الأحياء ذاتها، بالإضافة إلى مقابلات مطولة في أماكن التسول كان تقديمنا لبعض المساعدات المالية والتموينية أكبر مساعد في إجراءها، ما مكننا من طرح أسئلة حرة غير محددة مسبقا، صاحبها شرح لمعاني بعض الكلمات والمغزى من تلك الأسئلة، وبصيغة أخرى كانت المقابلة غير الموجهة هي نمط المقابلات المعتمدة في الدراسة والتي كانت الأنسب للدراسة حسب تقديرنا لآليات واحتياجات البحث.

تم الاعتماد على الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمعايشة من خلال المكوث ساعات طويلة مع المهاجرين في أماكن السكن وفي أماكن تواجدهم للتسول، وركزت ملاحظاتنا على ممارسة التسول الذي يعتبر بالنسبة لهم الدخل الوحيد، وما يصاحب هذه الممارسة من تفاصيل المعيش اليومي.

أفضت مجموعة الخرجات الاستطلاعية الميدانية إلى تحديد نقاط تواجد المهاجرين والأحياء التي يقطنونها وأماكن تواجدهم، وهذا ما يسمى بحقل الدراسة، ذلك أن "...للحقل غالبا قاعدة مجالية ملموسة، لكن حدوده ستكون مرسومة من الباحث" (وينكن، 2018، صفحة 16)، حيث تم حصر المجال المكاني للدراسة في ما يلي:

### 1_ أماكن الإقامة أو السكن:

يتوزع المهاجرين الأفارقة في عدة مناطق وأحياء سكنية بمدينة ورقلة والبلديات المحيطة بها، وحسب ما خرجنا به من ملاحظات ونتائج في دراستنا هذه، أن هذا التوزع يرجع في الأول إلى عامل الانتماء إلى الجماعة، بمعنى أن المهاجرين من دولة النيجر يقطنون في الغالب في نفس المنطقة أو الحي، وكذلك بالنسبة للمهاجرين من دولة مالي (جل أفراد العينة محل الدراسة من دولتي النيجر ومالي)، كما أن المهاجرين يختارون الأحياء التي تتوفر على أماكن سهلة للإقامة والسكن، سواءا من حيث ثمن الكراء أو سكنات نصف منجزة يتم الاستيلاء عليها لتمضية فترة الليل فقط، دون البحث عن توفر الشروط الملائمة للسكن، وهذا ما جاء في قول ( إبراهيم 33 سنة من دواة مالي) (**المهم نلقى بلاصة وين نرقد، حتى بارك ولا قاراج فارغ**).

مناطق السكن التي يقصدها المهاجرون هي في الحقيقة أحياء يمكن أن نقول عنها أنها هامشية أو بعيدة عن الواجهة العامة، حيث تعطي نوعا من العزلة والعيش في مناطق الظل بعيدا عن أعين

رجال الأمن، وفي الغالب تحوي هذه المناطق مستودعات يتم حراستها من قبل هؤلاء المهاجرين مقابل استغلالها للمبيت والإقامة.

في ما يلي صورة لخريطة مأخوذة من برنامج GOOGLE EARTH توضح أهم أماكن سكن المهاجرين في أحياء المدينة:

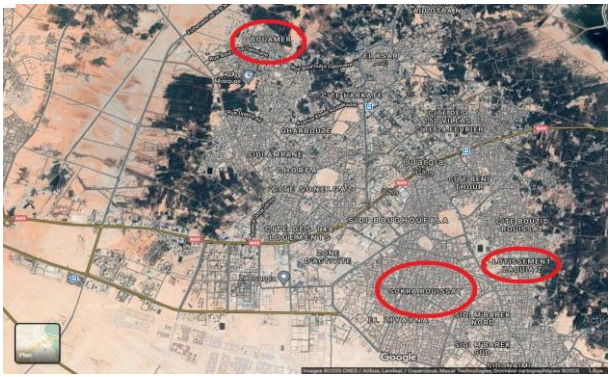

ا المناطق المحاطة بدائرة هي أكثر المناطق التي يقطنها المهاجرون من دول الساحل في مدينة ورقلة.

## 2_ أماكن التسول:

المراد هنا هو توضيح أهم الأماكن التي تتم فيها ممارسة التسول من طرف مهاجري دول ساحل الصحراء، إضافة إلى أهم مميزات كل مكان وأسباب اختياره، ونمط التوزع حسب فئة التسول، حيث أنه من خلال ملاحظاتنا الميدانية تم تحديد الأماكن التالية:

**أ_ المساجد:**

تعتبر المساجد من أهم الأماكن التي يقصدها المتسولون، حيث تكثر صدقات المحسنين من المصلين الذين تتم إستمالتهم وملامسة جيوبهم عاطفيا من قبل المتسولين، وهذا من باب استغلال العاطفة الدينية وما تمثله الصدقة في حياة المسلم.

في زيارة ميدانية لثلاث 3 مساجد ( مسجد عقبة بن نافع –سكرة-، مسجد أبي يعقوب –بني ثور-، مسجد الزاوية القادرية -الرويسات-)، لاحظنا أن المتسولون أغلبهم من فئة الرجال (شباب وكهول)، وهم من رواد المساجد ومصلين فيها، وبعد كل صلاة خاصة صلاتي الظهر والعصر يقفون أمام مداخل المساجد وبأيديهم مسابح وعلب فارغة أو أي شيء يمكنه حمل النقود في وضعية استعطاف للمصلين، حيث تتم عملية التواصل بين المتسولين والمصلين باستخدام لغة الجسد وأحيانا قليلة ألفاظ توحي بحاجة المتسول للصدقة من قبيل (**صدكة/صدقة**)، وفي حديث لنا مع أحد المتسولين

**(موسى 33 سنة من النيجر)** عن سبب اختيار المساجد لممارسة التسول قال ما مضمونه **(المصلين يحبون إعطاء الصدقات)**، أما **(علي 39 سنة من النيجر)** قال **(آتي للمسجد أصلي ثم أقف أمام المدخل فيعطونني صدقة أشتري بها عشاء عائلتي)**، مما لامسناه من كلام **(علي)** أن المتسولين يقصدون المساجد لسببين رئيسيين هما أهمية الصدقة لدى رواد المساجد، وعدم الحاجة لطلبة الصدقة أو المال لفظيا مما يحول بينهم وبين شعورهم بالاهانة، أي فينومينولوجيا يمكننا القول أن التسول باستخدام الإشارة أو لغة الجسد بالنسبة لمهاجري دول الساحل خاصة الرجال منهم يساعدهم على تجاوز ذاك الشعور بالدونية المرافق لوصمة التسول.

**ب_ المحطة البرية لنقل المسافرين:**

تشهد محطة النقل البري لمدينة ورقلة اكتظاظا وحركة دائمة لما تمثله المنطقة من نقطة إستراتيجية هامة بالنسبة لكامل مناطق الوطن، حيث يمكننا القول أن مدينة ورقلة هي عاصمة الجنوب، لهذا فهي تمثل مكان هام وقبلة للمتسولين.

أغلب فئات المتسولين الذين يرتادون محطة المسافرين هم من النساء والأطفال، حيث يتنقلون بين الحافلات في الأوقات المخصصة للركوب، تتم ممارسة التسول في ديناميكية تتناسب طردا مع ديناميكية المحطة في مضمونها البنيوي، بمعنى أن عنصر الإلحاح في طلب الصدقة من المسافرين غير موجود، فالمتسول (ة) يومئ بطلب الصدقة أو يلفظ العبارات الموحية لحاجته مع عدم التوقف في مسيرته داخل رواق الحافلة إلا لحظة مد يده للامساك بما تجود به أيادي المسافرين من نقود، وذلك للانتقال بسرعة إلى الحافلة الأخرى عساها تكون أكثر رزقا بالنسبة له.

تخبرنا **(عائشة 38سنة من النيجر) (المحطة مكان آمن لي ولأطفالي حيث يمكنني تركهم يلعبون وأنا أقوم بطلب الصدقة، وهنا يوجد الطعام والشراب والمراحيض وكل ما نحتاجه)**، من هنا تتضح أهمية المحطة والمرافق التابعة لها (مطاعم ومحلات ومقاهي ودورات مياه)، بالإضافة إلى أنها المكان الذي يجمع الغرباء، فالمتسول من مهاجري دول الساحل والمسافر الذي في المحطة كلاهما في الغالب غريبين عن مدينة ورقلة، مما يولد شعورا بالتضامن والشفقة من المتصدق على المتسول، وهذا ما يؤكده كلام أحد المسافرين (من مدينة سطيف) **(انا جزايري وكان ماعنديش الدراهم نحصل فما بالك هوما مساكن غربة على البلاد، والواحد شاد طريق يمد دافع بلاء خير)**.

**ج_ وسط المدينة: (الكاتشوما)**

**الكاتشوما** مفترق الطرق بني ثور وسط مدينة ورقلة، وهو المكان الذي يقصده سكان المدينة أو زوارها من المدن والولايات الأخرى لما فيه من مرافق عمومية وخاصة حيث الأنشطة النفعية والتجارية (فنادق، مطاعم، محلات الوجبات السريعة، مقاهي، مكتبات، محلات تجارية مختلفة، تجارة

الأرصفة)، وهو بالنسبة لبحثنا هذا من أهم الأماكن التي يقصدها مهاجري دول ساحل الصحراء بما فيهم المتسولون منهم.

يشهد وسط المدينة تواجد كثيف لمهاجري دول ساحل الصحراء خاصة طالبي العمل، الذين يصطفون في تجمعات في الطريق المؤدية من وسط المدينة إلى بلدية الرويسات وبالضبط أمام مقر الضمان الاجتماعي، وفي ذات الحين لا يخلو هذا الحيز المجالي من المتسولين وخاصة من فئة الأطفال وبعض النساء، حيث يخبرنا **(أحمد 33 سنة طباخ تونسي)** عامل بأحد محلات الوجبات السريعة **(أغلبية المتسولين هم أطفال صغار لا تتجاوز أعمارهم 12 سنة، وفي الغالب يسيرون مثنى وثلاث ويطلبون الطعام أو النقود أو ألبسة...إلا أنهم يزعجون زبائن المحل بإلحاحهم المستمر في طلب الصدقة، مما يدفعنا أحيانا إلى طردهم مجبرين..).**

من حديثنا مع أحمد ومن ملاحظاتنا الإثنوغرافية، حاولنا الاستفسار عن عدم وجود متسولين من فئة الرجال في وسط المدينة أثناء إجراءنا لمجموعة مقابلات مع بعض المهاجرين، فكان كلام **(محمد 27 سنة من النيجر)** أكثر وضوحا وموضوعية حين قال: **(لا أستطيع التسول أمام أصدقائي وأبناء بلدي المتواجدون هنا بوسط المدينة، سأشعر بالاهانة أمامهم...)**، هنا يمكننا القول أن التسول هو حالة من حالات الاغتراب، حيث أن رغبة المهاجر المتسول للانتماء إلى جماعته من المهاجرين، وعدم اندماجه ضمن المجتمع المستقبل يوقعه في مستنقع العزلة والاغتراب، مما يجعله غير مبالي بالوصم الذي يخلفه التسول بعيد عن جماعة الانتماء، "حيث يجد المتسول حرية كبيرة في ممارسة التسول بعيدا عن أعين الناظرين والمتطفلين، وبمنأى عن الرقابة الاجتماعية والقبلية والقروية، فيجدون راحتهم في ممارسة التسول دون حواجز نفسية أو رمزية وبدون خجل من الناس فلا زجر ولا ضبط اجتماعي رسمي أو غير رسمي يحاصرهم" (الشميري، 2012، صفحة 63).

## ثالثا: الواقع المعيشي للمتسولين الأفارقة في مدينة ورقلة:

في نظر المجتمع المحلي مجال الدراسة لا يوجد اختلاف بين المتسولين، فهم حسبهم كلهم أفارقة، والغالبية ينادونهم ب **الماليين** (من دولة مالي)، لكن من خلال معايشتنا الميدانية تبين لنا أن كل اختلاف بسيط في الخلفية الثقافية أو الاجتماعية أو حتى الهوياتية ينجم عنه اختلاف في تفاصيل الحياة اليومية، وهذا ما لاحظناه من خلال التقصي الأنثروبولوجي الدقيق، حيث تبين أن أغلبية عينة الدراسة هم من مهاجري دولة النيجر، والقلة القليلة تعد على الأصابع هم من مهاجري دولة مالي.

## 1_ المتسول الوافد والمجتمع المستقبل: الشأن الاجتماعي ونمط التفاعلات:

إن فهم ذهنية أي مجتمع ما تستدعي العيش فيه ومشاركة نشاطه، وهذا ما حصل مع المهاجرين من دول ساحل الصحراء الذين عاشوا في مدينة ورقلة وفهموا ذهنياته، وهذا ما جعلهم يقومون ببعض الطقوس في أثناء التسول جلبا لانتباه أهالي المنطقة، فمن يعيش في المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الورقلي خاصة، يجد أنهم يميلون إلى كل ما له علاقة بالدين الإسلامي، فيتأثرون بكل المظاهر كالصلاة وغيرها من العبادات المرتبطة بالإسلام.

وهنا نجد أن المهاجرين أدركوا هذه الحقيقة فعمدوا إلى إظهار مظاهر التدين أثناء قيامهم بالتسول للمتصدقين من المجتمع المستقبل لهم كوافدين، أبرز هذه المظاهر تتمثل في: **حمل المسبحة، وسجادة الصلاة، وبيع بعض الكتب الدينية كحصن المسلم، بيع المسواك، وجعل فضاءات المساجد أماكن للتسول**، فالمصلي يخرج من المسجد مع كم هائل من الروحانيات والشعور بالقرب لله مما يجعل استعطافه للصدقة أمر سهل.

تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة في هذا الجانب ألا وهي أن المتسولون وبعض المتصدقين هم وافدون على المجتمع المستقبل (مدينة ورقلة)، حيث يمكننا أنثروبولوجيا اعتبار التواصل بينهما صورة من صور إلتقاء أو تقاطع بين الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية في أحد تفاصيل المعيش اليومي، أما من الناحية الاثنوميتودولوجية فإن الوافد المحلي إلى مدينة ورقلة سواء أكان مهاجرا أو مسافرا يعتبر نفسه مستقبلا لذلك المهاجر الأفريقي، فمن خلال أنماط التفاعل بين المهاجر المتصدق المحلي والمهاجر المتسول الوافد من دول الساحل الأفريقي يظهر لنا ما يندرج ضمن ما يعرف بـ **"مفهوم البيئة المرتبطة بالمعنى"** الذي يشير إلى أن "التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع يتضمن معان تدركها عقولهم مباشرة، و هي معان تفوق دلالاتها و مغزاها ما قد تدل عليه إشارة أو كلمة أو عبارة في حديث تبادل بينهم، و من ثم فإن الإشارات أو الكلمات أو العبارات التي ترسل أو تستقبل أثناء عملية التفاعل بين أعضاء المجتمع يكون لها عدة معان ترتبط بموقف معين أو بيئة أو ظروف معينة" (حسو الزيباري، 2010).

وهذا ما عايشناه حقليا في ذلك التفاعل الذي حصل بين **(سليم من مدينة المسيلة)** و**(علي متسول من مالي)** حيث حمل كلام سليم في قوله **(..مرحبا بكم عندنا..)** الكثير من المعاني والدلالات التي استمالتنا للبحث في مضمونها، ذلك أن سليم في حد ذاته غريب عن مدينة ورقلة، لكنه ليس لديه

ذلك الشعور بالاغتراب أو الضعف بما أنه داخل الحدود الجغرافية للوطن، وتفاعله مع علي صاحبه تغيير في الدور والمكانة، فترحيبه يوحي دلاليا إلى تغير مكانته من وافد إلى مستقبل لذلك المهاجر المالي.

إن هذا المبحث من الدراسة فرض علينا فتح مجال آخر من البحث في تفاصيل المعيش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء من خلال التساؤل حول مؤشرات الشعور بالاغتراب عند هؤلاء المهاجرين، وتتبع دلالات هذا الشعور من الناحية الأنثروبولوجية، وهذا ما سنوضح تفاصيله في ورقة بحثية أخرى.

## 2_ التسول تحت وطأة الحتمية (كوفيد19):

تقاطع المجال الزماني لدراستنا هذه مع جائحة كوفيد 19 أو ما يعرف ب (جائحة فيروس كورونا)، تلك الجائحة التي سببت أزمة عالمية ألقت بظلالها على كل الدول بما فيها الجزائر، ومدينة ورقلة كانت من بين المدن التي وقعت تحت ظل الأزمة، سواءا من خلال انتشار المرض فيها (ولو بنسبة ضئيلة) أو من خلال الإجراءات الوقائية المتخذة من قبل الدولة كإجراءات الحجر وتقنين الأنشطة التجارية وحركة المواطنين وتنقلهم داخل أو خارج الولاية، بالإضافة إلى الإيقاف المؤقت للعديد من الأنشطة الاقتصادية مثل أشغال البناء والمقاولاتية أو أي نشاط فيه تجمعات بشرية.

هذا التغير في النمط المعهود للحياة اليومية للمدينة صاحبه تغير في الوضع العام للمهاجرين من دول ساحل الصحراء، حيث لاحظنا أن عدد المهاجرين قد قل بصورة كبيرة قد تفوق النصف، فيما تبين معطياتنا الإثنوغرافية أن الظروف المعيشية للمهاجرين قد ساءت كثيرا في ظل الجائحة، فمن كان عاملا في ورشات البناء وواحات النخيل والمزارع .. هو اليوم عاطل عن العمل وبلا مدخول تحت حتمية الأزمة ومرفقاتها.

كانت هذه الظروف سببا في ارتفاع عدد المتسولين من مهاجري دول ساحل الصحراء، وان كان الكثير منهم يمارس التسول على مضض، حيث يخبرنا **(إبراهيم 39 سنة من مالي) (كنت أعمل في ورشة بناء براتب يومي يقدر بـ 1400 دج، أما الآن فأنا أتسول مكرها لأعيل عائلتي، وللضرورة فقط لأنه في بعض الأحيان يتم استدعاؤنا للعمل في أحد مساكن المدينة سواءا للتصليح أو البناء.. فأتوقف عن التسول)**، يبرز لنا من حديث إبراهيم والكثير ممن قابلناهم أن ارتفاع عدد المتسولين هو ارتفاع مؤقت وله دوافع وأسباب مرتبطة بمخلفات أزمة فيروس كورونا على المجال العام لمدينة ورقلة.

## 3_ التنشئة الاجتماعية للأطفال المتسولين:

( ولد الفار يجي حفار) .. مقولة رددها على مسامعنا أحد أبناء ورقلة (صاحب محل لبيع الملابس)، في سياق حديثنا عن أطفال المهاجرين من دول ساحل الصحراء الذين يمارسون التسول، كانت كردة فعل للإلحاح الذي صاحب عملية تسول طفل من النيجر، حيث لم يترك أحدا من الموجودين في المحل إلا وأعطاه بعض القطع النقدية للخلاص من ذلك الإحراج (النفسي) الذي سببه إصراره في طلب الصدقة... إن هذا المثل يحمل في طياته إشارة إلى انتقال التسول كممارسة من الأبوين إلى الأبناء، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية المصاحبة للتفاعل اليومي بين المهاجرين وأبنائهم.

إن ما سبق ذكره كان دافعا لمحاولة البحث في تفاصيل ظاهرة انتقال فعل التسول للأطفال المهاجرين، فكانت لنا مقابلات مع أمهات مهاجرات من دولة النيجر يصطحبن أبناءهن أثناء ممارسة التسول، نذكر منها على سبيل الحصر محتوى مقابلاتنا مع **فاطمة**:

تخبرنا فاطمة 38 سنة أم لثلاثة أطفال (مريم 10 سنوات، موسى 5 سنوات، محمد رضيع) **( جئت مع زوجي وولداي مريم وموسى منذ سنتين، أما محمد فقد كان جنينا في بطني، وقد كانت ظروف المعيشة الصعبة وعدم توفر الغذاء والعمل من دوافع هجرتنا للجزائر.. زوجي يعمل في ورشات البناء أحيانا بأجر يومي، أما أنا وأبنائي فنخرج للتسول والبحث عن الطعام..** لماذا تصحبين الأطفال معك أثناء التسول؟ **لا يمكنني تركهم وحدهم في مكان إقامتنا فهم صغار، ووجودهم يجعل الناس يتصدقون علينا، حتى مريم وموسى يساعدونني في طلب الصدقة من أصحاب المحلات والمارة..** متى وكيف تعلموا التسول وهم صغار؟ **هم معي كل يوم أثناء التسول ويشاهدونني كيف أطلب الطعام أو النقود من المتصدقين، وقد علمتهم بعض الكلمات التي تساعدهم على ذلك، كما أن المتصدقين غالبا ما يقدمون الصدقة للأطفال ويتحدثون معهم..** أين مريم وموسى لا أراهما معك؟ **إنهما يتسولان في الشوارع والمطاعم القريبة، فهما يعرفان المنطقة جيدا فلا خوف عليهما..).**

في هذه الحالة تظهر لنا مجموعة مؤشرات ساهمت في تنشئة الطفل المهاجر على ممارسة التسول وهي:

_ أصبحت الحاجة لممارسة التسول من طرف الأسرة المهاجرة عادة ومنتج سوسيو-ثقافي يتم توريثه من خلال نقله للأبناء وتعليمهم على ممارسته.

_ الشارع الورقلي بكل مؤسساته (المطاعم، الأسواق، مفترقات الطرق، الساحات العامة، مداخل المساجد، محطات النقل، المقاهي،...) أصبح هيكلا لتنشئة الأطفال المهاجرين من دول ساحل الصحراء على ممارسة التسول بالإضافة إلى ممارسات أخرى لها سياقها الخاص..

_ العاطفة التي تظهر في فعل التصدق من طرف المتصدقين على الأطفال هي أيضا عامل ساهم في تنشئة الأطفال على ممارسة التسول بحيث ساهمت في تعلم الطفل لطرق استعطاف المتسولين والإلحاح في طلب الصدقة دون شعورهم بالحرج أو استحقار الذات.

إن حديثنا عن التنشئة الاجتماعية لأطفال المتسولين لا يحاكي زوايا التنشئة على معايير القيم الاجتماعية والتربية الأخلاقية على قدر ما يحاول التصويب على قلب الموضوع العام لدراستنا ألا وهو "التسول"، كممارسة لها أبعادها وتأثيراتها على الطفل من خلال طمسها لأغلب الحقوق الإنسانية، فأطفال المهاجرين من دول ساحل الصحراء الذين يمارسون التسول محرومون من حقهم في التمدرس واللعب والحماية وتوفير الطعام واللباس لهم، فيجدون التسول وفضاءه وبيئته مجالا للعب واللهو وكسب حاجياتهم الأساسية، ويصبح الشارع مدرسة يتعلمون منها سبل وكيفية البقاء، في صراع يومي مع ما يفرضه الواقع المعيش وما تبحث عنه براءة طفل.

## استخلاص النتائج:

خلصت دراستنا إلى مجموعة النتائج التالية:

- يتعامل مهاجروا دول ساحل الصحراء عموما والمتسولون منهم خصوصا بحذر وسرية وكتمان مع كل من يحاول التفاعل معهم وأخذ معلومات عنهم.
- الأحياء الشعبية الداخلية وأحياء الطبقات الهشة هي مقصد المهاجرين للسكن والمبيت فيها.
- يقيم المتسولون مع أبناء بلدهم الأصل من مهاجري دول الساحل في نفس المناطق بحثا عن الشعور بالأمان ودفء العائلة.
- رغم تجمع المهاجرين في تجمعات أساسها وحدة الاثنية أو البلد الأصل إلا أنهم يحبذون التسول بعيدا عن أنظار معارفهم.
- المساجد ومحطات النقل والأسواق الشعبية ووسط المدينة هي الفضاءات العامة ومسرح المعيش اليومي للمتسولين من مهاجري دول ساحل الصحراء.
- أماكن التوسل تختلف حسب المردود اليومي وحسب فئات التسول (الرجال في المساجد، والنساء والأطفال في المحطات والأسواق).

- أكثر فئات التسول في مدينة ورقلة هم النساء والأطفال.
- المتسولون الرجال يعمدون إلى لغة الإشارة أثناء التسول مع تجنب الحديث غالبا.
- ازدياد عدد المتسولون من فئة الرجال في ظل جائحة كوفيد-19 بسبب تأثر سوق العمل وشبه توقف لمشاريع البناء.
- تحت حتمية عدم توفر العمل للرجل أصبح كل أفراد الأسرة المهاجرة يمارسون التسول.
- الحاجة الماسة لتوفير أدنى شروط المعيشة كانت دافع للمهاجرين من دول الساحل إلى تعلم لغة المجتمع المستقبل (ورقلة) خلال التفاعل معهم، خاصة المفردات المساعدة في ممارسة التسول من باب (صدقة/صدكة، أعطيني نشري خبز، اشريلي نوكل، ...).
- تسول الأطفال هو ظاهرة تتقاسم أسبابها حاجة الأسرة المهاجرة وعاطفة المتصدقين .
- الشارع فضاء وهيكل يحوي كل الأحداث اليومية للأطفال المتسولين.

خاتمة:

الفقر والحاجة للغذاء وعوامل كثيرة كانت أسباب وعوامل دافعة لهجرة الأفراد والأسر والجماعات من دول ساحل الصحراء نحو الشمال، وصعوبة ظروف الحياة والتأقلم في المجتمعات المستقبلة (ورقلة أنموذجا) كانت من أهم الأسباب الدافعة لممارسة التسول من هؤلاء المهاجرين، وما زاد الطين بلة هو جائحة كورونا (كوفيد-19) التي أوقعت العالم في أزمة كانت بوادرها اقتصادية في المقام الأول، مما تسبب في زيادة نسبة البطالة لدى مهاجري دول ساحل الصحراء الذين كانوا يعملون في ورشات البناء والحقول وغابات النخيل، والبحث في تفاصيل الواقع المعيش للمتسولين هو غوص في بحر لا يمكن الوصول إلى كل خباياه وأعماقه، ذلك أن يوميات ومعيش المتسولين من المهاجرين تتميز بديناميكية متغيرة مرافقة لذلك التغيير المستمر للوضع السوسيو-اقتصادي والمجالي للمهاجرين.

## قائمة المصادر والمراجع:

إيف وينكن. (2018). *أنثروبولوجيا التواصل: من النظرية إلى ميدان البحث* (المجلد 1). (خالد عمراني، المترجمون) المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.

طاهر حسو الزيباري. (/ /, 2010). *الاتجاه الاثنوميتودولوجي أو منهج الجماعة*. تاريخ الاسترداد 14 07, 2020، من انتروبوس:
https://www.aranthropos.com/tag/%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%ab%d9%86%d9%88

%d9%85%d9%8a%d8%ab%d9%88%d8%af%d9%88%d9%84%d9%88%d8%ac%d9%8a%d8%a7/

فالنتيا غراسي. (2018). *مدخل إلى علم اجتماع المخيال - نحو فهم الحياة اليومية* (المجلد 1). (محمد عبد النور، و سعود المولى، المترجمون) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

هائل الشميري. (2012). *التسول بصمة كئيبة في جبين المجتمع: دراسة في عوامل وأنماط التسول وآثاره الاجتماعية والتربوية*. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر.